

أطفال الشوارع: قراءة في عوامل الهدر الأسري والمدرسي للأطفال ورصد لمغريات

الشارع

Street children: Reading about the factors of family and school waste for children, and monitoring of street temptations

د/ أسماء فيلاي^١، أ.د./بركو مزور^٢

^{٢,١}مخبر التطبيقات النفسية في الوسط العقابي، جامعة باتنة ١، الجزائر.

✉ 2019 © All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or by any information storage and retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

مستخلص البحث:

للطفولة في عالم اليوم مكانة بارزة وأهمية متميزة لدى مختلف بلدان العالم إيماناً بأهمية هذه المرحلة في حياة الفرد وأثرها البالغ في بناء شخصيته، ورغم هذا الاهتمام المتنامي بالطفولة إلا أن هناك فئات من الأطفال تعيش ظروف صعبة وتعرض للحرمان والانتهاكات والاستغلال، وي طرح الموضوع المقترح في الدراسة الحالية إشكالية حقيقية تتعلق بالهدر التربوي الأسري الذي تتعرض له شريحة من الأطفال بفعل عوامل أسرية، تعليمية واقتصادية مضطربة تدفع بهم نحو الشارع كمتنفس وفضاء بديل مغري يستمدون منه معاييرهم وقيمهم وندسق تفكيرهم وسلوكياتهم وهذا ما يتنافى مع الأوضاع المناسبة لنشأة الطفل. الكلمات المفتاحية: الطفل؛ الشارع؛ الهدر التربوي الأسري.

Abstract:

Today childhood in the world has a prominent position and distinct importance to various countries of the world because of the importance of this stage in the life of the individual and its profound impact on building his personality, and despite this growing interest in childhood, there are groups of children living in difficult conditions that are subject to deprivation, violations and exploitation. The proposed topic is presented in the current study a real problem related to the educational and social waste that a group of children are exposed to due to turbulent family, educational and economic factors that push them towards the street as a breathing space and an attractive alternative place to derive their standards, values, and the pattern of their thinking and behavior, and this is inconsistent with the conditions Suitable for child's upbringing.

Key words: child ; street ; social and educational waste

مقدمة:

تعتبر ظاهرة أطفال الشوارع من بين أهم الظواهر الاجتماعية الآخذة في النمو ليس فقط على مستوى البلدان النامية وإنما أيضا في الدول الصناعية المتقدمة، وتبرز هذه الظاهرة وترتبط بالعديد من عوامل الهدر التربوي الاجتماعي في مقابل عوامل الجذب بالشارع، ومهما كانت هذه العوامل فالقضية الأساسية هنا تتعلق بتداعيات وانعكاسات الشارع على هؤلاء الأطفال.

ويعبر مفهوم أطفال الشوارع عن فئة هشة من الأطفال اتخذت من الشارع فضاء "للعمل والأكل والتجوال والنوم أيضا في كثير من الحالات" ليشكل مرجعية وركيزة أساسية تحدد هويتهم وهذا الارتباط يتناقض ليس فقط مع الأفكار الرئيسية الخاصة بالأوضاع المناسبة لنشأة الطفل ولكنه أيضا يتنافى مع الغرض الذي وجد من أجله الشارع.

إن أطفال الشوارع هم أطفال حرموا من حقهم في التنشئة السوية داخل أسرة مستقرة، وانفصلوا عن أسرهم (رمزيا أو واقعا) وأصبح الشارع بديلا لهم والمسؤول عن تنشئتهم وهويتهم الجديدة، يستمدون منه معاييرهم وقيمهم ونسق تفكيرهم ولغتهم وسلوكياتهم، ومع مرور الوقت وطول مدة المكوث بالشارع ينفصل هؤلاء الأطفال تدريجيا عن المجتمع الأصلي ليشكلوا مجتمعا موازيا، له قيمه ومعاييرها الخاصة التي يحتكمون لها، وعند هذه النقطة تتبلور خطورة الظاهرة حيث قد يتحول هؤلاء الأطفال من ضحايا حرموا من حقوقهم الأساسية إلى جانحين ومجرمين نتيجة تمثل ثقافة الشارع والافتداء بنماذجه غير السوية.

١- إشكالية الدراسة:

من المسلم به أن الطفل ينمو في ظل سياقات متعددة تبدأ أولا بالأسرة ثم المدرسة والرفاق والمسجد والنادي الرياضي... وغيرها، ويظل السياق الأسري من بين هذه السياقات سياقاً بالغ التفرد والخصوصية " إن الأسرة هي الوحدة البيولوجية النفسية الاجتماعية المعرفية والاقتصادية الأولى التي ينشأ فيها الطفل ويتفاعل مع أعضائها... وهي

التي تسهم بالقدر الأكبر في الإشراف على نمو الطفل وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه" (ميزاب، ٢٠٠٥، ص ١١١) ومن هنا كان تأثير الأسرة خطيرا وحاسما في تكوين شخصية الطفل. وتشمل حاجات الطفل في هذه المرحلة بالإضافة إلى النواحي الفطرية الفسيولوجية الحاجة إلى الحب والحنان والعاطفة والتي غالبا ما يكون مصدرها الأم وكذلك الحاجة إلى السيطرة والإشراف والتوجيه من الأب وهكذا يتضح أن التنشئة السوية تقتضي معاشة الطفل لوسط أسري سليم التكوين تتوفر فيه الوالدية بقسطها توفرا نفسيا وبيولوجيا مشبعا مانحا للحب والعطف الذي يعد بمثابة الزاد للطفل لكي ينشأ سويا مع نفسه ومجتمعه مكتسبا لأساليب الدور الاجتماعي الذي عليه أن يؤديه في مستقبل حياته (فرغلي، ٢٠١٢، ص ٤٣).

وبعد مرور الخمس أو ست سنوات الأولى الحاسمة في بناء شخصية الطفل تبدأ المدرسة تسهم مع البيت في مساعدة الأطفال على النمو الذهني والبدني والانفعالي والاجتماعي باعتبارها امتدادا للتنشئة الاجتماعية، وعليه تكمن أهمية المدرسة في كونها "المصنع الذي يتم فيه تحويل المادة الخام إلى إنتاج قابل للاستهلاك" فهي الوسط الاجتماعي الذي يتم فيه صقل شخصية الطفل وبنائها بناء سليما حتى يتحول الفرد من مجرد طفل قليل الخبرة إلى إطار ذي إمكانات وقدرات اجتماعية ومعرفية وخلقية فالمدرسة هي المحيط الاجتماعي الذي يتم فيه نقل الطفل من محيط الأسرة الضيق إلى الانفتاح على الآخرين وعلى المجتمع الواسع، كما أنها تؤدي إلى تدعيم الكثير من المعتقدات والاتجاهات والقيم الحميدة التي تكونت لدى الطفل في البيت وتمكنه من تعلم طرق التفاعل الإيجابي مع أقرانه وتدريبه على ممارسة العلاقات الانسانية مع غيره (مصباح، ٢٠٠٣، ص ١١٢).

وفي ضوء ما سبق يتضح أن أكثر اللبئات أو المؤسسات أهمية وتأثيرا في التنشئة الاجتماعية للطفل في السنوات الأولى من حياته هي الأسرة والمدرسة وهكذا إلى باقي مؤسسات المجتمع الأخرى... ويتم هذا في الحالة الطبيعية لصيرورة الحياة غير أنه في بعض الأحيان قد تختل هذه الصيرورة وينتج عن ذلك أوضاع تهدد وتخل بالتنشئة السليمة للطفل وهذا ما نلاحظه في الآونة الأخيرة حيث كثر الحديث عن بروز كل من

ظواهر الهروب من البيت العائلي والتسرب المدرسي والتشرد في الشوارع، إذ يصادفنا يوميا عدد معتبر من الأطفال الذين يجوبون الشوارع والمناطق المختلفة وهذا في الوقت المنتظر تواجههم فيه بالمدارس أو في كنف رعاية أسرهم، وكما هو معروف فالشارع بكل ما يحمل من معنى يعد المجال أو الفضاء الذي تجتمع فيه مختلف التشكيلات والتركيبات الاجتماعية بكل تشابكاتها وتناقضاتها فهو المرادف للاستقرار والأمن وكذا اللااحترام الأخلاقي والتوجه نحو الانحراف، ومع هذا نجد أطفالا صغارا يقضون أغلب أوقات يومهم ضمنه بعيدين عن أعين ورقابة أسرهم وهذا ما يفتح المجال واسعا للشارع في أن يكون بديلا خصباً لكي ينشأ هؤلاء الأطفال من خلاله في حين لم تكتمل تربيتهم وإعدادهم الكافيين وسط أسرهم فأى نوع من التنشئة هذه التي يمكن أن توفر لهم في هذا الوسط (عتروت، ٢٠٠٣، ص١٤).

ويبدو أنه لا يمكن إرجاع تفشي هذه الظاهرة إلى سبب معين نظرا لتفاعل مجموعة من عوامل الدفع "الطرد" بالأسرة والمدرسة (كرداءة المسكن، الفقر، الاهمال الوالدي، العنف الأسري، هشاشة العلاقات الأسرية، اغتراب الطفل وعدم شعوره بالانتماء للعملية التعليمية...) في مقابل عوامل الجذب والاغراء بالشارع (التحرر من السلطة والرقابة، الحرية المطلقة، الربح والاستقلال المالي، نسج الصداقات وعيش البطولات...) وكلما استمرت وتفاقت عوامل الدفع كلما زاد تعلق الطفل بالشارع ومغرياته، وهذا ما أشار إليه الباحثان (محمد حمزة ود. ياسين) مقارنين التشرد بالإدمان على المخدرات حيث يؤكدان أنه "لا تظهر آثار بيولوجية وفيزيولوجية كالتى يظهرها المدمن على المورفين مثلا، إلا أن الحدث مع توالي الأيام والشهور يظل منجذبا إلى الشارع، وبالتالي يزداد انقطاعه عن أسرته ومجتمع المحلي ومدرسته حين يجد أن الشارع يوفر له حالة تحرر مطلقة تقريبا - أو هكذا يظن- من ضغوط الأب والمعلم وغيرها من رموز سلطة الضغط الرسمية وغير الرسمية" (عسوس، ٢٠٠٩، ص١١٠).

ومما لا شك فيه أن تواجد الأطفال بالشارع لفترات طويلة من اليوم ولساعات متأخرة من الليل أو لأيام معدودة، يعد ناقوس خطر يكشف عن كثير من المشاكل وينبئ بالعديد من المخاطر، ولهذا جاءت الدراسة الحالية لتسلط الضوء على عوامل الدفع

والجذب بالشارع سعيا منا للإحاطة بأسباب الظاهرة وبلورة خطط فعالة لاسترجاع هؤلاء الأطفال من الشوارع.

وانطلاقا مما سبق يمكننا أن نطرح التساؤلات الآتية:

*فيما تتمثل عوامل الهدر الأسري والمدرسي للأطفال؟

*ماهي عوامل الجذب والإغراء بالشارع؟

*ما المقصود بفلسفة تأهيل وإعادة إدماج أطفال الشوارع؟

وللإجابة على هذه التساؤلات سيتم تقسيم الدراسة إلى المحاور الآتية:

أولاً: تحديد مفهوم الشارع.

ثانياً: تحديد ماهية أطفال الشوارع.

ثالثاً: عرض مراحل انتماء الطفل للشارع.

رابعاً: عرض العوامل "الأسرية والمدرسية" التي تدفع بالطفل للجوء إلى مسلك حياة الشوارع.

خامساً: رصد العوامل التي تغري الطفل وتجذبه لمسلك حياة الشوارع.

سادساً: إلقاء الضوء على الأوضاع المعيشية للأطفال في الشوارع والمخاطر المحدقة بهم.

سابعاً: عرض فلسفة تأهيل وإعادة إدماج أطفال الشوارع.

٢- مفهوم الشارع:

يعتبر مفهوم الشارع من بين المفاهيم الأقل ضبطاً وتحديداً، تختلف تعاريفه باختلاف مجالات البحث ليتخذ عدة أشكال منها ما هو جغرافي فيزيقي ومنها ما هو معنوي رمزي. فيعرف الشارع بأنه مكان عبور من نقطة ثابتة إلى أخرى (مزوز، ٢٠١٣، ص٩٧)، كما أن المفهوم العصري للشارع يشير إلى أنه هو الطريق الذي يصل بين نقطتين ليوفر أساساً خط الحركة لنقل الأشخاص والبضائع، ولكن بالمجتمعات الحضرية وخاصة بالدول النامية فإن الشارع عادة ما يكون له وظائف اجتماعية

متنوعة ويمثل امتدادا لمجالات عديدة متعلقة بمعيشة الأسر واقتصادياتها ووسائل الترفيه (مكتب مستشارو الإدارة والتحليل والتخطيط الاجتماعي- سباك-، ٢٠٠٥، ص ١٨).
ففي كثير من الأحيان تعد الساحة والطريق امتدادا للمنزل -بالنظر لضيق المسكن- كما يعد الشارع غالبا بديلا للمؤسسات الترفيهية، فبات الشارع فضاء مميزا يتردد عليه الصغار والكبار جاعلين منه متنفسا ومكانا للتلاقي واللعب والترفيه.

أي أنه المجال المكاني الذي يحق لكل أفراد المجتمع التواجد فيه والذي من خلاله تتم مختلف التفاعلات والتعاملات الاجتماعية، إذ يضم الأماكن العمومية والساحات العامة وكذا الطرق والأزقة. وبالتالي يمكن تعريفه كونه "تلك البيئة الثقافية الاجتماعية المتباينة التكوين والتركيب، هذه البيئة التي تحوي على مختلف التشكيلات الاجتماعية المنظمة منها وغير المنظمة، فهو المجال المكاني الذي لا يحكمه قانون خاص ولا نظام ثابت أو رقابة محددة حيث يعد بهذا ذلك الوسط الذي يمثل لأساليب خاصة وسلوكيات مختلفة عن تلك التي تتميز بها مؤسسات تنشئية مثل الأسرة أو المدرسة ورغم كونه جزءا معترفا به من المجتمع إلا أنه لا يتسم بتنظيم أو شرعية النظام الاجتماعي نظرا لما يكتسبه من خصوصية تجعل منه وسط مهم المعالم (عزت، ٢٠٠٣، ص ٢٣).

ومع هذا نجد شريحة من الأطفال يعايشون هذا الوسط غير واضح أو محدد المعالم "الشارع" لفترات تفوق ما يقضونه داخل بيوتهم بل ليشكل فضاء يحصر وينافس كل من أدوار الأسرة والمدرسة، والنتيجة في كل هذا وضع غير طبيعي ولا معتاد لشريحة حساسة من المجتمع.

فالشارع إذن ليس فضاء مغلقا سهل فهم أبعاده وتداعياته ولا يكشف أسراره منذ الوهلة الأولى لولوجه وارتياحه فهو فضاء اجتماعي وثقافي واقتصادي مفتوح ومتجدد يخضع للتغير والتحول وتؤثر فيه العوامل على اختلاف منابعها، يحمل في جعبته أخطارا ومصاعبا وتداعيات على من اعتاد ارتياحه وأدمن المكوث فيه، ولعل تداعيات الشارع ستكون ذات أثر بالغ على شخصية الطفل الذي سيتخذ منه حياة ومكانا لكسب القوت اليومي وأخطر من ذلك نسقا قيميا يكتسب من خلاله كيف يجب أن يعيش

وكيف عليه أن يواجه المصاعب والمخاطر التي ما اعتاد عليها ولا خبر طرق مواجهتها (مزوز، ٢٠١٣، ص ٨٢).

٣-تعريف أطفال الشوارع:

استخدم مصطلح أطفال الشوارع لأول مرة من قبل "هنري مايهيو" (Henry Mayhew, 1851) في كتابه حول العمل والفقراء في لندن (London Labour and London Poor) ومع ذلك لم يتم تداول هذا المصطلح إلا في إطار "السنة العالمية للطفل" التي أعلنتها منظمة الأمم المتحدة في عام ١٩٧٩ (مؤسسة البحوث والاستشارات- لبنان، ٢٠١٥، ص ٢٦).

وعقب هذا التاريخ تعددت التعريفات المقدمة لأطفال الشوارع وتباينت، على أن كثيرا منها لم يأت في شكل تعريف بالمعنى الحقيقي للكلمة وإنما سيق في شكل وصف أو تصنيف أو تعداد الفئات التي يشملها المفهوم.

وقد نص تعريف اليونيسيف (١٩٨٥) لطفل الشوارع على ما يلي: أي طفل ذكر كان أو أنثى، أصبح الشارع بالمعنى الواسع للكلمة بما يشمل المساكن والمباني المهجورة وما إلى ذلك مسكنه المعتاد و/أو مصدر رزقه ولا يحظى بما يكفي من الحماية والمتابعة والتوجيه من قبل البالغين مسؤولين" (بن صويلح، ٢٠١٣، ص ١٠٧).

وعرفت منظمة الصحة العالمية (٢٠٠٠) أطفال الشوارع كونهم تلك الفئة من الأطفال الذين يلاحظون في الشوارع ولا يذهبون إلى المدرسة، أو يتسولون في الشوارع أو يعملون في القطاع غير الرسمي لحساب الآخرين وبعضهم يستغلهم الكبار أو حتى الشباب جنسيا، ولكي يستطيع أطفال الشوارع أن يعيشوا ربما ينضم بعضهم إلى عصابات الشوارع التي تعتمد على نشاطات إجرامية كالسرقة. واعتبرت منظمة الصحة العالمية أن أطفال الشوارع كثير منهم يملكون بيوتا ولكنهم يختارون البقاء في الشارع وربما يكون السبب في ذلك الفقر، أو شدة الازدحام أو التمرد على ضغوط البيت أو المدرسة، أو إساءة المعاملة البدنية أو الجنسية في المنزل (غزلاني، ٢٠١١، ص ٤٩-٥٠).

وفي مصر عرف المجلس القومي للطفولة والأمومة طفل الشارع بأنه ذلك الطفل الذي عجزت أسرته عن إشباع حاجاته الأساسية (جسمية ونفسية وثقافية وصحية...)

كنتاج لواقع اجتماعي واقتصادي تعايشه الأسرة في ظل ظروف اجتماعية أشمل تدفع بالطفل إلى الشارع كماوى بديل لمعظم أو كل الوقت بعيدا عن أي نوع من أنواع الرعاية والحماية، يمارس فيه أنواعا من الأنشطة لإشباع حاجاته من أجل البقاء مما يعرضه للخطر والاستغلال والحرمان من الحصول على حقوقه الأساسية وقد يعرضه للمساءلة القانونية بهدف حفظ النظام العام(فرغلي، ٢٠١٠، ص٣٢).

ويذهب "محمد سيد فهمي" إلى أن أطفال الشوارع هم الأطفال الذين يقل عمرهم عن ١٨ سنة ويعيشون وينامون ويأكلون في الشوارع، بشكل غير رسمي أو غير مرخص به وعلاقتهم بأسرهم إما متقطعة أو منقطعة في الغالب" (مزوز، ٢٠١٣، ص٩١). وتعرف شيماء نور(٢٠٠٨) طفل الشارع "بالطفل الذي وجد نفسه دون مأوى ولا مكان يرحب به سوى الشارع ولا أذان تستمع له سوى من هم مثله" كما توسع تعريفها ليضم "الطفل الذي يترك بيت أسرته ويفر إلى الشارع بين الحين والآخر ليقضي بعض الليالي بعيدا عن قسوة الأهل أو هربا من الاكتظاظ أو الاعتداءات والفقير" (عسوس ٢٠٠٩، ص١٠٧).

وما يجب التنويه إليه في هذا الصدد أنه كان التصور الرائج لأطفال الشوارع أنهم ذكور يدمنون المواد المخدرة ويمارسون النشاط الجنسي في مرحلة مبكرة ويسلكون طريق الانحراف، وهم إما أيتام أو متخلى عنهم، اتخذوا من الشارع فضاء لمعيشتهم ومأواهم وتعكس هذه الصور النمطية المواقف العامة إزاءهم أكثر من واقع حياتهم الفردية حيث أثبتت الأعمال الميدانية في الشارع أن هذا النمط لم يكن النمط الوحيد المعبر عن صلة الأطفال بالشوارع ولا هو النمط الغالب. فبعضهم ينج به إلى الشارع من قبل أولياء أمورهم للمساعدة على إعالة الأسرة، في حين يعمل البعض الآخر مع أولياء أمورهم في الشارع والبعض الآخر كان الفقر المدقع لأسرهم عامل طرد قوي، وهناك البعض الآخر الذي اتخذ قرار ترك المنزل الأمري بسبب المعاملة السيئة من أوليائه أو القائمين على أمره حيث الغالبية العظمى من أطفال الشوارع ليسوا بالضرورة بدون مأوى أسري وأنه بالرغم من أن لدى بعضهم إن لم يكن لمعظمهم منازل وأسرى يعودون إليها في فترات متقطعة إلا أن الأمر ينتهي بكثير منهم إلى العيش في الشارع (بن صويلح، ٢٠١٣).

وفي الوقت الراهن يفهم من مصطلح "أطفال الشوارع" أن الأمر يتعلق بفئة مركبة اجتماعيا لا تشكل في الواقع مجموعة سكانية متجانسة، فلكل طفل قصة فريدة من عوامل الدفع والجذب التي أدت به إلى اللجوء لمسلك حياة الشوارع، وعليه تتباين صلات هؤلاء الأطفال بالشارع بحسب المؤشرات الآتية:

* من حيث درجة الانخراط في الأسرة.

* من حيث المدة التي يقضيها الطفل في الشارع.

* من حيث مقدار الرعاية والحماية التي يحظى بها الطفل.

* من حيث الأعمال التي يقوم بها الطفل في الشارع.

* من حيث مقدار السلوك الانحرافي.

وعليه غالبا ما يتم تمييز أطفال الشوارع إلى ثلاث فئات:

المنفصلون: وتشمل اليتامى أو من تم التخلي عنهم أو اللاجئيين الذين فقدوا التواصل مع أسرهم.

المنفصلون جزئيا: وهم الأطفال الذين تركوا أسرهم بملء إرادتهم وفضلوا حياة الشارع لمدة طويلة إلا أنهم يزورون أهلهم بين الحين والآخر.

المتواصلون: أي الذين يعيشون مع أسرهم ولكنهم يقضون طوال النهار أو أياما معدودة في الشارع (فرغلي، ٢٠١٢، ص ٢٥).

كما لا بد من الإشارة إلى أن مصطلح "أطفال الشوارع" لا يقتصر على الذكور فحسب، فرغم أن الفتيات أقل عددا من الفتيان في اللجوء للشارع كموطن لكن هذا لا يعني أنهن فيه غائبات فإذا كان عدد الاناث أقل فإنما ذلك يفسر بالتنشئة الاجتماعية المتباينة بين الجنسين وعلاوة على ذلك ففي حالة مغادرة فتاة ما لمنزلها فإنها تبحث عن مكان آخر تعمل به من دون الشارع (Yaagoubi, 2009, p.29).

٤-مراحل انتماء الطفل للشارع:

علاقة الطفل التي تربطه بالشارع كونه حيزا للعيش علاقة ذات طبيعة تطورية، وفي هذا الصدد أوضحت الدراسات أن الأطفال يمرون بأربع مراحل رئيسية حتى يتحولوا إلى الاعتماد الكلي على حياة الشارع، وتتجسد هذه المراحل في:

المرحلة الأولى: مرحلة التعرف على الحياة بالشارع

في هذه المرحلة تكون هناك ظروف مختلفة تهيء الطفل أو الطفلة للنزول إلى الشارع والتعرف عليه بحذر، قد يصاحبه شيء من الخوف من مجتمع الشارع باعتباره نوع مختلف من الحياة مما يستدعي توطيد علاقات بأفراد من هذا المجتمع الجديد ليساعده على التعلم والتكيف مع واقع الحياة بالشارع ومعرفة مميزاته.

المرحلة الثانية: مرحلة التنقل بين الأسرة والشارع

وهي تعد مرحلة يتأرجح فيها الطفل ما بين الإقامة بالشارع والبقاء مع الأسرة، ويحاول من جانبه الموازنة بين الاثنين معتمدا على عناصر الجذب المتاحة في كل منهما، وتتميز هذه المرحلة بالهروب المتكرر من الأسرة والتعرض لأزمة الهوية بمعنى عدم الإحساس بالانتماء الكلي من جانب الطفل لجماعة معينة.

المرحلة الثالثة: مرحلة التحول إلى الشارع

وتتميز هذه المرحلة باكتساب الطفل معايير وقيم ومهارات جماعة أطفال الشوارع بالقدر الذي يمكنه من التأقلم معها والتعامل مع مشكلاتها المختلفة، والبقاء بعيدا عن الأسرة، وتشكل هذه المرحلة بعضا من عوامل الطرد واللامبالاة من جانب الأسرة، مع وجود عوامل الجذب من جانب الشارع وجماعاته للطفل.

المرحلة الرابعة: مرحلة الاستقرار بالشارع

في هذه المرحلة يتأقلم الطفل كليا مع واقع الشارع الأليم ويتعايش معه ساعيا إلى إيجاد فرص للبقاء حيث يكون البقاء للأقوى (الدليل الإرشادي لحماية أطفال الشوارع من المخدرات، ٢٠٠٧، ص ٢٢).

٥-العوامل التي تدفع بالطفل للجوء إلى مسلك حياة الشوارع

١-٥- عوامل الهدر الأسري:

ويقصد بها في الدراسة الحالية بعوامل الدفع أو الطرد بالأسرة أي الأسباب أو الظروف الأسرية التي تشجع أو ترغم الأطفال على اللجوء إلى الشارع. تمثل الأسرة شبكة من العلاقات الانسانية الاجتماعية، وينشأ الطفل في هذه الشبكة ويعتمد عليها اعتمادا كاملا في سنوات حياته المبكرة، وهي السنوات ذات الأهمية البالغة في تشكيل شخصيته؛ فيعتمد الوليد في بداية حياته على الأم اعتمادا

كاملا في توفير الطعام والدفء والراحة والنظافة وسائر ألوان الرعاية مما يجعل الأم-أو من يقوم مقامها-شخصا مميزا وذو مكانة خاصة لديه، ثم ينتقل في اعتماده وتفاعله من الأم إلى الآخرين من بقية أفراد الأسرة (الأب والإخوة...)، ثم تتسع دائرة معارفه ومجال احتكاكه إلى الرفاق من الجيرة وزملاء المدرسة، ثم إلى المجتمع الكبير بمؤسساته المختلفة، ودخول مؤسسات أخرى إلى مجال التأثير على الفرد بجانب الأسرة لا ينبي تأثير الأسرة أو يوقف وظائفها في التنشئة، بل يظل للأسرة وضع خاص باعتبارها البيئة التي تضع اللبنات الأولى في شخصية الفرد(كفاي، ٢٠١٥، ص٧٣).

وتتجمع مجموعة من العوامل الشخصية والداخلية للأسرة والخارجية عنها لتنتج طريقة تعاملها مع الطفل، ولعل هذا ما يفسر اتجاهات وسلوك الطفل فيما بعد، وفي هذا ترى (فاطمة المنتصر، ٢٠٠٠) أن هذه العوامل تتمثل في:

المجموعة الأولى: وهي العوامل الشخصية وتضم كلا من العوامل المرتبطة بتنشئة الآباء أنفسهم ونمط شخصيتهم، ومدى تقبلهم لذاتهم، ودرجة نضجهم ومستوى تعليمهم...الخ.

المجموعة الثانية: وهي العوامل الداخلية حيث ضمنتها العوامل المتعلقة بنظام الأسرة كوحدة مثل العلاقة الزوجية والوسط الأسري الاجتماعي وحجم الأسرة ومحل سكنها...الخ.

المجموعة الثالثة: وهي العوامل الخارجية المرتبطة بالإطار الثقافي العام المحيط بالأسرة والقيم السائدة والنظرة العامة للطفولة. هذه المجموعات الثلاث إذا ظهر بها اضطراب أو نقص أو خلل لسبب من الأسباب يمكن أن ينتج عنها ظهور أطفال يعايشون الخطر المعنوي أو الجروح (ميزاب، ٢٠١٢، ص٧).

وفرضية أن هناك علاقة مباشرة ما بين مجموعة من المتغيرات في البيئة الأسرية ولجوء الطفل للشارع كبديل فرضية تدعمها نتائج العديد من الدراسات وهذا ما سنحاول عرضه بشيء من التفصيل من خلال التطرق لأهم عوامل الهدر الأسري والمتمثلة في:

❖ التفكك الأسري:

يعرف (رانكان ولس، ١٩٨٦)، "الأسرة المفككة بأنها" التي يعتبر أحد أفرادها غائبا والغياب هنا يظهر في أشكال كثيرة فإما أن يكون بالموت أو الطلاق أو نتيجة لصراع مؤقت أو لتغيير العمل أو بدخول المستشفى لمدة طويلة أو لدخول السجن... الخ، كما يمكن تحليل أشكال هذه الغيابات إلى: غياب أحد الوالدين أو كليهما، كلياً أو جزئياً إرادياً أو غير إرادي قابل للعودة وغير قابل لها (ميزاب، ٢٠٠٥، ص ١١٦).

وفي هذا الصدد تشير الدراسات إلى أن التفكك الأسري يعد سببا جوهريا للجوء الطفل للشارع، ويأتي (24%) من أطفال الشوارع من أسر مفككة إما بالطلاق أو وفاة أحد الوالدين أو زواج أحد الوالدين بآخر و(32%) منهم لم يجدوا الرعاية والاهتمام من أسرهم (فرغلي، ٢٠١٢، ص ٢٩)، كما يشير "عبد الحميد كربوش" (٢٠٠٦) في دراسته حول الاجرام والانحراف أن أغلب الأطفال الذين اتخذوا الشارع كبديل عن الوسط الأصلي (الأسرة) كانوا عرضة للتفكك الأسري في مرحلة الطفولة والذي غالبا ما كان يؤدي إلى غياب السلطة الضابطة للطفل والحرمان من الاستقرار النفسي والاجتماعي وهذا الحرمان من الناحية المادية والنفسية للطفل يساعد في انحرافه، ويعتبر هروب الطفل من منزله المثال الأول للانحراف فهو يدل على قلق وضيق الطفل من عائلته (بن عيسى، ٢٠١٤، ص ١٠).

إلا أنه لا بد من التنبيه إلى نقطة جوهرية مفادها أن بنية الأسرة ليست هي السبب المباشر في لجوء الأطفال إلى الشارع مما يجعلنا نهتم أكثر بفكرة نوعية العلاقات الفردية ما بين أفراد الأسرة الواحدة، أي أنه إذا تصدعت الأسرة أو تفككت بطريقة من الطرق التي ذكرناها سابقا فإن آثار ذلك تنعكس على كل أفرادها أي الوالدين والأبناء أولا كأفراد وثانيا كمجموعة علاقات ومن ثم فإن هذه الآثار ستكون مختلفة باختلاف الأفراد المكونين لهذه الأسرة، لذلك يتحتم معرفة ما إذا تغيرت الوظيفة الأسرية كلياً بفعل التفكك.

وبصورة عامة فقد أوضحت نتائج الدراسات أن الصراع الحاد له تأثير مدمر على الأطفال يفوق كثيرا تأثير الانفصال أو الطلاق، ومع ذلك فمن المهم أن نأخذ في

اعتبارنا أن الانفصال ليس بالضرورة معناه انتهاء العداء والكراهية فغالبا ما يحدث الصراع والامتعاض حول أسباب الطلاق وينتقل العداء إلى موضوع حضانة الأطفال وتحمل نفقات معيشتهم (ريزو، وزابل، ١٩٩٩، ص ١٢٨).

وبالتالي فالعامل الأساسي هو مدى وجود صراع بين الوالدين مضاف إليه نوعية علاقات الوالدين كل على حدة بالطفل، حيث أن إقحام الأبناء في الصراع الزوجي وإجبارهم على الولاء والتحيز لأحد الطرفين (الأب أو الأم) يتسبب في حصول تمزق عاطفي لديهم بسبب الحيرة في الانحياز لأي طرف، فضلا عن فقدهم الشعور بالأمان الناتج عن هذا التمزق فتترسب في أعماقهم مشاعر الكراهية نحو هؤلاء الأشخاص ونوعية هذه الحياة مما قد يدفعهم إلى الهروب واللجوء للشارع بحثا عن متنفس.

❖ الإهمال والافتقار للإشراف الوالدي:

يشير "علي النملة" أن أسباب لجوء الطفل إلى الشارع وتشرده تنبع بالدرجة الأولى من البيت، فليست كل البيوت القائمة سعيدة وعلى مستوى يؤهلها لرعاية أطفالها رعاية صحية قائمة على فهم لنفسية الطفل والوقت الذي يكافأ فيه والوقت الذي يعاقب ويؤدب فيه وما إلى ذلك من أساليب التربية السليمة.

فيحتاج الطفل إلى صورة راشدة ناضجة متزنة عاطفيا واجتماعيا كي يتماهى بها ويبنى شخصيته على غرارها، بالإضافة إلى الحب والتماهي يحتاج الطفل إلى سلطة تحمي وتمنع، تطمئن وتضع حدودا في نفس الوقت وتوضح أهمية الوالدين في نقل القيم والمعتقدات الدينية والمعايير الاجتماعية من خلال الحب و القدوة والتأديب، إلا أن هذه المهام والمسؤولية الوالدية قد تضطرب نتيجة الإهمال الذي يشير إلى "ترك الطفل دون تشجيع على السلوك المرغوب فيه أو الاستجابة له وكذلك دون محاسبته على السلوك غير المرغوب فيه بالإضافة إلى ترك الطفل دون توجيه إلى ما يجب أن يفعله أو إلى ما ينبغي عليه تجنبه، وغالبا ما ينتج هذا الأسلوب عن عدم التوافق الأسري، ويتضح أسلوب الإهمال في صورتين:

أ- إما في صورة اللامبالاة.

ب- عدم إثابة الطفل على السلوك المرغوب فيه (مصطفى، ٢٠١٠، ص٣٤).

ومثل هذا الإهمال المتكرر قد يفقد الطفل الإحساس بمكانته عند أسرته ويفقده الإحساس بحبهم له وانتمائه إليهم، ويحرمه من التماهي بنموذج والدي ناضج وغالبا ما يترتب على هذا الاتجاه شخصية قلقة مترددة تتخبط في سلوكها بلا قواعد، وبالتالي يحاول هذا الطفل الانضمام إلى جماعة أو شلة يجد فيها مكانته ويوجد فيها الحب والعطاء الذي حرم منه نتيجة إهمال أسرته له، خصوصا وأن الجماعة غالبا ما تشجعه على كل ما يقوم به من عمل حتى ولو كان مخربا خارجا عن القانون وذلك لأنه لا يعرف الحدود الفاصلة بين حقوقه وواجباته وبين الصواب والخطأ في سلوكه" (وعلي ٢٠١٥، ص٢٣١)

إن طفولة اليوم هي طفولة يتيمة في عصرها الحديث، على الرغم من وجود الآباء والأمهات والمربين، والسبب يعود كما يرى "محمد وخروبوات" "...إما إلى كون الآباء والمربين مهملون لأبنائهم، غير مكترئين لهم، فالأب يلقي المسؤولية كاملة إلى الأم أو الأخ الأكبر أو يلقيانها إلى المدرسة وتأتي التربية في هذا السياق تلقائية تتجاوزها الظروف والصدف، وإما أن الآباء منشغلون عن أبنائهم فهم لا يقدرّون المسؤولية تجاههم ولكن الواقع استهلكهم بالمشاكل والأعمال، تارة يغيبون وتارة يحضرون ولا يكون حضورهم إلا شكليا، وإما أن الآباء اختاروا لتربية أبنائهم توجها مغايرا وهو الالتفات المطلق إلى تربية غير تربية المجتمع الذي يعيشون فيه.." (مزوز، ٢٠١٣، ص١٠٢).

❖ العنف الأسري:

بصرف النظر عن أسباب هذا النوع من العنف فإنه يمكن أن يدفع بالأبناء إلى النفور من الأسرة نتيجة الضغط المسلط عليهم والقسوة في حقهم والإحساس بخيبة الأمل في مصدر السلطة المتمثل في الأب ومصدر العطف المجسد في الأم، وهذا ما أوضحتها البيانات الإحصائية التي أنجزتها بعض الجمعيات إذ أشارت بأن النسبة العظمى من الأطفال لجأوا إلى الشوارع نتيجة سوء معاملة الوالدين وضعف رعايتهم والافراط في تعنيفهم وقد لوحظ أن قسوة زوجة الأب بشكل خاص من الأسباب

المتكررة لهروب الأطفال إلى الشارع، هذا ما أكدته مثلا مقابلة لـ ١٠٠٠ طفل من أطفال الشوارع في بومباي بالهند التي انتهت إلى استخلاص أن السبب الأكبر لوجود الأطفال في الشوارع هو العنف الأسري وليس الفقر، وهذا يعد مؤشرا قويا على أن للعنف مخاطر لا تخفى، إذ قد يفضي إلى الموت في بعض الأحيان حسب إحصائيات اليونيسيف التي أشارت إلى وفاة حوالي ٣٥٠٠ طفل دون سن الخامسة عشر سنويا بسبب العنف وإساءة المعاملة وقدرت أن 70% من هؤلاء تكون الأسرة هي مصدر هذا العنف الممارس عليهم. (الخطري، ٢٠١٧، ص ٢٤).

❖ الزواج الثاني للوالدين وإعادة تركيب الأسر (الأسرة غير المتجانسة)

ومع تزايد معدلات الطلاق يشير الباحثين إلى ضرورة تطوير مفاهيم جديدة لوصف أنماط الأسر المعاصرة حيث أن هذه الزيادة يقابلها تزايد معدل الزواج الثاني للوالدين أيضا، وهكذا نجد أن الباحثين يتحدثون حاليا عن الأسر المختلطة وإعادة بناء الأسر والأسر غير المتجانسة وكلها تشير إلى المواقف التي تضم أحد الأزواج (الذي تزوج مرة أخرى) وله أطفال من الزواج السابق، ومما لا شك فيه أن هذه الوضعية ستنعكس على الأطفال بشكل خاص حيث هناك فقد للحضور المباشر لأحد الوالدين، وقد يكون هناك أيضا فقد للعلاقات مع الأجداد وغيرهم من الأفراد المهمين بالنسبة للطفل وربما يحدث فقد للعلاقات والصدقات بالمدرسة أو الحي السكني السابق، ورغم حقيقة أن مقابل أشكال الفقد هذه هناك خفض للصراع الأسري أو التخلص منه وكذلك التخلص من المشكلات الوالدية إلا أن أشكال الفقد هذه تظل واقعية وموجودة وتتعد الأمور أيضا إذا كان لكلا الزوجين أطفال من الزواج السابق وما ينجر عن هذه الوضعية من غيرة وصراع وتنافس بين الأطفال، بالإضافة إلى ما قد تفرزه هذه الوضعية الأسرية الجديدة من صدام مفاجئ بين العادات وأساليب الحياة دون وجود تاريخ مشترك وحتى ربما عدم الرغبة في تحمل أفراد الأسرة لبعضهم البعض، كذلك ما يحمله كل زوج كرواسب لطفولته هو من توقعات حول السلوكيات التي يتعين على الأطفال ممارستها وكثيرا ما تعد الأمور المتعلقة بمراعاة آداب التعامل والنظام مصدرا للصراع بين الزوج (ة) الجديد والأطفال. (ريزو وزابل، ١٩٩٩)

ففي كولومبيا (١٩٩١) أجريت دراسة مسحية لأطفال الشوارع أظهرت أن 72% من أطفال الشوارع كان السبب وراء لجوئهم لحياة الشارع غياب الأب الأصلي وحلول البديل (زوج الأم) وعدم رغبته في العناية بهم وسوء معاملته لهم مما دفعهم للهروب للأمان النسبي في الشارع من وجهة نظرهم (النجاحي، ٢٠١٤، ص١٦٣) كما لوحظ أن قسوة زوجة الأب بشكل خاص من الأسباب المتكررة لهروب الأطفال إلى الشارع (الخطري، ٢٠١٧، ص٢٣).

❖ الفقر والبطالة:

لقد شهدت المجتمعات في السنوات الأخيرة تغيرات شملت مختلف جوانب الحياة المجتمعية، وقد كان أكثر هذه المجالات سرعة في التغيير هو المجال الاقتصادي حيث اتجهت بعض الدول إلى سياسة الانفتاح الاقتصادي وخضع البعض الآخر لتقلبات أسعار البترول، في حين عانت دول أخرى من تبعات العولمة والجفاف والتصحر والحروب، كل ذلك أفضى إلى انتشار ظواهر الفقر والبطالة فأصبحت الكثير من الأسر عاجزة عن تلبية الحاجات الأساسية للبقاء ومتطلبات النمو لأطفالهم ما يدفع بهؤلاء الأطفال نحو الشارع فيصبح الفضاء الحاضن لهم لضمان بقائهم ولمساعدة أسرهم (الخطري، ٢٠١٧، ص١٩)

وهو ما عبرت عنه منظمة "اليونيسيف" بأنه "حينما يسود الفقر وعدم المساواة في مجتمع ما تتزايد احتمالات انحراف الأطفال بالعمل كما تتزايد مخاطر استغلالهم" (غزلاني، ٢٠١١، ص٤٨).

وفي هذا الصدد توصلت الدراسات إلى أن الأسر الفقيرة هي التي تدفع بأطفالها للعمل لسد احتياجاتهم الأساسية وأيضا احتياجات الأسرة، حينها يرى الأطفال في العمل والخروج للشارع وتحقيق الكسب المادي مخرجا يحقق لهم الاستقلال عن أسرهم وبالتالي افتقاد الرعاية والتوجيه والاحتواء فينجرف الطفل ويتشرد في الشوارع (صابر، ٢٠١١، ص١١٩).

كما أن الأب الذي تضطره ظروف المعيشة القاسية إلى قضاء معظم يومه في العمل يهمل أطفاله وينصرف عن تربيتهم، كما أن حالة البطالة التي قد يتعرض لها

تجعله غير قادر على مواجهة مسؤولياته الاقتصادية فيغدو حاد المزاج، سريع الغضب يقسو على أطفاله ويسرف في عقابهم بسبب أو بدونه وقد يجبرهم على العمل بدل إلحاقهم بالمدرسة أو على ممارسة التسول الشيء الذي قد يجدون معه الشارع منفذا و ملاذا (الحطري، ٢٠١٧، ص ١٩).

ولا شك أن الظروف الاقتصادية السيئة ويلمها الظروف المعيشية والسكنية المتدنية قد تؤدي إلى الانفصال والطلاق أو الهجرة بين الأزواج، وهذا يترك آثارا سلبية على نفسية الأطفال وكنتيجة لمثل هذه الأوضاع يضطر الأطفال للهروب من المنزل والمدرسة والبحث عن مصدر رزق يكسبون منه ويغطون نفقاتهم والأخطر من هذا الأمر أن قسما كبيرا منهم قد يلجأ إلى السرقة من أجل إشباع حاجاتهم، وبهذا الصدد فقد أجريت دراسة في الولايات المتحدة على (٨٠٠) حدث تركوا المدرسة من أجل تأمين لقمة العيش وتبين أن (٢٦٢) منهم قد انقطعوا عن الدراسة بسبب الفاقة والحاجة إلى المال و(١٥٤) تركوا المدرسة بسبب تفضيلهم العمل على المدرسة (العكايلة، ٢٠٠٦، ص ١٧٨).

ورغم تسليمنا بنتائج الدراسات التي تؤكد أن نسبة كبيرة من الأطفال لجأوا للشوارع بسبب سوء الأحوال الاقتصادية إلا أنها ليست حقيقة مطلقة، ويشهد بذلك تقرير اليونيسيف لسنة (١٩٨٠) الذي أكد على أنه كان هناك ٣٦٩ مليون طفل فقير تحت سن ١٥ سنة يعيشون في مدن الدول النامية إلا أن الغالبية من هؤلاء الأطفال لم يكونوا أطفال شوارع (الحطري، ٢٠١٧، ص ٢٠) ذلك أن الفقر بحد ذاته لا يدفع بالأطفال إلى الشوارع مباشرة بل يفعل الفقر مفعوله إذا لازمه سوء رعاية وتوجيه وإشراف على الأطفال.

٢-٥- عوامل الهدر المدرسي:

ويقصد بعوامل الهدر المدرسي في الدراسة الحالية بأنها المعوقات المدرسية التي تقف عثرة في سبيل تقدم الطفل وتكامله دراسيا وعقليا ونفسيا واجتماعيا وتجعل من التعليم عملية غير محبوبة الأمر الذي يؤدي بالطفل إلى التسرب وتفضيله لحياة الشوارع على البقاء بالمدرسة.

فبينما التعليم بالمدارس يعتبر من العوامل الأساسية لتكوين النشأ و اكسابهم المهارات الحياتية لتكملة دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية، كانت المدارس عنصر طرد للكثير من الأطفال بدلا من أن تكون عنصر جذب لهم تعوضهم عما يفتقدونه في أسرهم، وفي هذا الصدد أوردت كثير من الدراسات أن من أهم المشكلات التي تسهم في نزول الأطفال إلى الشارع هي الهروب من التعليم بسبب سوء العلاقة بين الطفل والمدرسة وعدم تلاؤم المنهج الدراسي مع احتياجاته فغالبا ما يكون مضمون المقررات الدراسية محملا بقيم الطبقة الوسطى في الغرب الشيء الذي يؤدي إلى اغتراب الأطفال وشعورهم بعدم الانتماء إلى العملية التعليمية وعدم جدواها هذا من جهة أما من جهة أخرى فالتعليم يتم من خلال منهج وأسلوب أبوي قمعي يعتمد أساسا على التلقين والقسوة على الأطفال الشيء الذي يشعرهم بتغييب حاجاتهم النفسية والإنسانية والعقلية مما يجعلهم تواقين للبحث عن الفضاء الحر الممثل في الشارع (الخطري (٢٠١٧، ص ٢٥)

وتشير الاختصاصية في التربية "نجوى جريديني" أن هروب الطفل من المدرسة مؤشرا لوجود مشكلة حادة قد تتمثل:

- في وجود مشاكل يعاني منها التلميذ ويكون مصدرها المنزل يقابلها سوء العلاقة بين التلميذ والمدرس.
- شعور التلميذ بثقل الواجبات المدرسية وكثرتها يقابلها ضغط الأهل والمدرسة لإنجازها.
- صرامة المعلمين واستغلال الأهل لهذا الأمر كأن يهددوه في أنهم سيشتكونه لأستاذه وبذلك يحولون المدرس إلى جلد.
- تعرض التلميذ للتنمر المتكرر من قبل زملائه بالمدرسة.
- خضوع التلميذ لرغبات زملائه أو شلة أصدقاء المدرسة ومسايرتها في ميولها التي لا تخلو في بعض الأحيان من الأخطار والمجازفة التي من بينها الهروب من المدرسة.
- البيئة المدرسية من حيث عدم توافر الشروط المادية كالصفوف المكتظة وعدم توافر مساحات او ملاعب مخصصة للرياضة والانشطة الترويحية إلى جانب

البيئة الاجتماعية والنفسية داخل المدرسة فهناك بعض المدارس تحرم التلاميذ من التفاعل السليم ويسود فيها العقاب والمعلمون لا يظهرون تفهما لمتطلبات التلميذ فيشعر أنه مضطهد.

كذلك من الأسباب التي تدفع بالطفل لتترك المدرسة جزئيا أو كليا والنزول للشوارع الصحية داخل المدرسة، فقد ينتهي الطفل في المدرسة إلى جماعة رفاق تتسم بمخالفتها للقوانين والنظام والغياب المتكرر والهروب فيخضع لرغباتها ويسايرها في سلوكياتها فيبدأ بالهروب من المدرسة وقضاء معظم الأوقات في الشارع والمتزهات مع رفاقه خاصة في ظل غياب مراقبة أولياء الأمور لأبنائهم ما يجعل التلميذ يتعود على التشرذم في الشوارع ويفضله على المدرسة وضغوطاتها.

يتضح أن التسرب من التعليم يزيد من فرص التواجد بالشارع وهو مرتبط بطريقة أو بأخرى بظروف الأسرة ووضع الطفل بها كما يرتبط بالنظام التعليمي نفسه وعدم قدرة المدرسة على إشباع احتياجات الأطفال أو رغباتهم، كما يرتبط بغفلة إدارة المدارس عن متابعة التلاميذ ومتابعة غيابهم أو خروجهم من المدرسة في أثناء الدراسة (سباك، ٢٠٠٥، ص١٤).

٦- العوامل التي تغري الطفل وتجذبه لمسلك حياة الشوارع:

للشارع بريق خاص بالنسبة للأطفال إذا ما قورن بأوضاعهم المضطربة مع أسرهم حيث يشتمل على مجموعة من عوامل "الجذب" التي تساهم في جعله فضاء مغريا للطفل، رغم أن دورها أقل بكثير في دفع الأطفال إلى العيش فيه مقارنة بعوامل الدفع السابق ذكرها.

❖ الشارح كفضاء لإشباع الحاجة للانتماء: أطفال الشوارع كما وضح سابقا يأتون من خلفيات أسرية يكون فيها توجيه أولياء الأمور ضئيلا للغاية أو غائبا تماما بالإضافة إلى غياب علاقات المشاركة الحميمة مع أطفالهم في أنشطتهم، وضعف الرقابة والانضباط ومن استغلال لأطفالهم عاطفيا وبدنيا أو حتى جنسيا وعندما يتعرض الأطفال لمثل هذه الظروف يكون أحد أشكال ردود الفعل هي اللجوء إلى الشارع حيث يجدون نوعا وإحساسا بالانتماء إلى أسرة بديلة (زمره الشارح) التي كثيرا ما تكون أكثر اهتماما بهم

ورعاية لهم، وكلما زادت روابط الطفل معها كلما كان من الصعب التنازل عنها فهذه الجماعة في النهاية تعد مصدرا للأمن النفسي بالنسبة لهم بعد ما فقدوا الثقة بالأسرة والمجتمع الخارجي.

ويفهم من ذلك أن الحدث الهارب من بيته يشعر رفقة أقرانه أنه إنسان مقبول تمكن من تحقيق أهداف هامة كالانتماء والمشاركة الفعالة وهذا ما يحقق لديه الاحساس بالأمن والثقة في الذات، لذلك اعتبر "كفلدت" (Kufeldt,1991) أن الدافع الأساسي الذي يحث الكثير من الأبناء على الهروب من البيت يكمن في شعورهم بالوحدة والبحث عن فعالية الذات وعن إيجاد معنى لوجودهم (كركوش، ٢٠١١، ص١٥٦).

❖ **الشارع كفضاء للمغامرة وإشباع غريزة حب الاستطلاع:** الطفل يحقق بالشارع غريزة حب الاستطلاع فالحياة بالشارع تسهل التنقل بين المدن وزيارة أماكن متنوعة والتعرف على أنماط مختلفة من البشر وبذلك يكتسب أطفال الشوارع خبرات كثيرة ومتعددة لا تكون في غالب الأحيان ايجابية، وبفضلها يتعرض الطفل للنضج المبكر ولكن نضج "غير سوي" يجعل جسمه جسم طفل يحلم بالبراءة ولكن طريقة تفكيره أصبحت مشوشة منحرفة (بن صويلح، ٢٠١٣، ص١٦).

❖ **الشارع كفضاء للتحرر من السلطة والرقابة:** عادة في الشارع لا يوجد تحكم أو مسؤولية ولا طلبات والتزامات ولا قيود على الممارسات سواء ممارسات الأطفال الجنسية أو تعاطي المخدرات أو ممارسات العنف أي يتمكن الطفل من عمل ما يريد وقتما يريد وبالتالي إشباع الرغبات المكبوتة دون حساب أو رقيب.

❖ **الشارع كفضاء لنسج الصداقات:** ويوفر الشارع للطفل فرص مصاحبة الأقران وغالبا "قرناء السوء" الذين غالبا ما يكون التواجد بالشارع بتشجيع منهم حيث يوفر لهم الحماية ويكسبونه المهارات المطلوبة للتعايش بالشارع ويهيئون له سبل التسلية والمرح والانحراف.

❖ **الشارع كفضاء للربح والاستقلال المالي:** كما يوفر الشارع إمكانات مادية لهؤلاء الأطفال حيث يحصلون فيه على قوت يومهم عن طريق مد يد التسول إلى المارة، وبيع السلع البسيطة، غسل زجاج السيارات ونقل الأمتعة.

ومع كل المغريات المتواجدة بالشارع فإن حياة الشوارع ممتلئة ومحفوفة بالمخاطر والمشكلات التي تهدد كيان الطفل، فالعنف سمة من سمات الحياة بالشوارع بالإضافة إلى المخاطر الصحية ومخاطر استغلال العصابات حيث عادة ما تتخذ هذه العصابات من هؤلاء الأطفال أدوات سهلة للأنشطة غير المشروعة كاستغلالهم في ترويح وتوزيع الممنوعات أو إثارة أعمال الشغب...الخ.

٧- الأوضاع المعيشية للأطفال في الشوارع والمخاطر المحدقة بهم

إن ظروف التواجد بالشارع بمغرياته وموارده ومخاطره تحتاج إلى استراتيجيات للبقاء والتعايش مع هذا القدر الكبير من التنوع والتباين في العلاقات والأفراد واللغة والمشكلات، فالشارع يعد مجتمعا موازي للمجتمع الأصلي الرسمي تحكمه علاقات وقيم ومفردات لغوية وبه وسائل للترغيب والترهيب فيتطلب من الطفل الوارد إليه حديثا المرور بعملية تنشئة تمكنه من التكيف والاستمرار به، حيث يتعلم استراتيجيات الانخراط والتكيف وتوطيد العلاقات ضمن زمرة الشارع، ويكتسب مفرداته اللغوية الخاصة، ومهارات حماية النفس ومتطلبات العمل به.

*مجتمعات أو زمرة الشارع: من الخطأ الاعتقاد بأن أطفال الشوارع يعيشون بشكل فردي مستقل كأفراد قائمين بذاتهم يحتفظون بحقوقهم الشخصية كالحق في المساحة الشخصية والخصوصية، بل إنهم يرتبطون في معظم الوقت بأشخاص من كلا الجنسين ويكونون جماعات لها تنظيماتها وقواعد عملها يطلق عليها "مجتمعات الشارع" أو "زمرة الشارع" تفرض الامتثال لتعاليمها والتشبع بقيمها للتعايش في بيئة الشارع هذا من جهة، ومن جهة ثانية فهي توهم الطفل بنوع من الراحة النفسية والتحرر فلا يوجد شخص مسؤول يبسط رقابته عليه ويقنن تصرفاته وسلوكياته وبذلك يتحرر الطفل من كل أنماط القيود على تصرفاته وممارساته سواء الجنسية، تعاطي المخدرات أو ممارساته العدوانية والعنف مع الآخر (بن صويلح، ٢٠١٣، ص ١٥).

وعليه فإن هؤلاء الأطفال يشكلون شبكات ذات زمر فرعية وثنائيات تمكنهم من مواجهة التحديات التي تفرضها عليهم الحياة اليومية في الشارع، وتعتمد مكانة الطفل في شبكته على المهارات والقدرات التي يشهد بها له وبالتالي فهناك تسلسل مكانة هرمي

داخلها (Lucchini,2001,p.79). والأطفال الواردون للشارع حديثا يوطدون علاقاتهم مع "قادة الشارع" كاستراتيجية للبقاء لأنهم يفتحون لهم فرص الترحيب ويكسبونهم مهارات التكيف على حياة الشارع ومجتمعه ويوفرون لهم الحماية من الآخرين.

* لغة الخطاب: وبين الأقران يحصل الأطفال بالشارع على أسماء شهرة قد تكون محببة إليهم أو غير محببة، ولكنها في الغالب تشتق من صفات أو من بطولات وهمية، ويتم إطلاق هذه الأسماء فيما بينهم وأحيانا يكون ذلك للتمويه.

كما تشير نتائج دراسة مزوز بركو (٢٠١٣) حول "القيم عند أطفال الشوارع من خلال عنف لغة الخطاب" إلى أن الأطفال في الشارع ينسجون استعمالهم اللغوية الخاصة؛ حيث يتواصلون عبر لغة غامضة وغير مقننة ولا يعرفها سوى من يحتك بهم ويتعايش مع مفرداتهم، وهي استعمالات مقننة لا تفصح عن معناها فهي بدائل لغوية تعبر عن ذاتها من خلال تكسير قواعد اللغة الشرعية التي اعتادت عليها البيئة التي عاش فيها هذا الطفل الذي يتلذذ في إنتاج لغته الخاصة التي يصبغها بالغرابة في الكلمة واللعب بالعبارات دون أمانة، فلا يهم الصواب والخطأ بقدر ما يستمتع الطفل ببلاغة الخطأ وقوته، فهذه اللغة يعبر عن شخصه وعن الأسرة واختناقاته فيها والمدرسة وإخفاقاته في استيعاب نسقها وصولا إلى المجتمع وعنفه" (مزوز، ٢٠١٣، ص ٩٩).

* العنف سمة من سمات الحياة بالشارع: الحياة في الشارع هي حرب للبقاء تفرض على الأطفال العنف والعدوانية وتعلمهم أساليب الرد الدفاعي المضاد لأي اعتداء عليهم؛ فيتعلمون أن العنف هو لغة الحياة في الشارع ويتراجع شعورهم بالأمن لكنهم سرعان ما يتغلبون على هذه المخاوف فيلجؤون إلى تقمص أدوار معينة وانتهاج أنماط سلوكية بقصد تخويف الآخرين منهم فكأنهم بسلوكهم هذا يفرزون آلية الدفاع الذاتي ضد الغير ومن ثم يحاولون التخلص من مشاعر الخوف التي يعانون منها بإثارة الخوف لدى الآخرين (بن صويلح، ٢٠١٣، ص ١٥).

وتشير "مزوز بركو" إلى أن أطفال الشوارع كثيرا ما يلجأون إلى التعبير بالسلوك العنيف وفي بعض الأحيان المتوحش، وهو يعكس شكلا خارجيا يوارون خلفه هشاشتهم التي لا يمكن أن يكتشفها إلا الأشخاص الذين لهم خبرة وتعاملوا معهم لوقت كبير، فهم في العمق ضعيفين بحاجة إلى عاطفة (مزوز، ٢٠١٣، ص ٩٩).

***طبيعة العمل:** لكي يستطيع هؤلاء الأطفال العيش والتكيف في الشارع لابد من مزاولتهم بعض الأعمال التي عن طريقها يجمعون المال اللازم للإنفاق على احتياجاتهم، ومن هذه الأعمال بيع المناديل أو بعض السلع البسيطة أو مسح زجاج السيارات أثناء إشارة المرور أو التسول وادعاء المرض..وهنا لا بد من التنويه أن طفل الشوارع يقوم ببعض الأعمال الهامشية التي تدر عليه الربح بأسلوب غير منتظم ويكون غرضه من العمل هو الحصول على النقود فقط لحظيا أي في وقت محدد ووفق حاجاته، وهذا على النقيض من "الطفل العامل" الذي يتخذ من العمل مصدرا أساسيا للرزق ويداوم عليه ويحاول جاهدا الاستمرار فيه مهما كانت مشقته وغالبا يكون السبب الرغبة في تحسين دخل الأسرة.

وبالتالي بينما يقوم "أطفال الشوارع" بأعمال هامشية ولا يرتبطون بها بشكل منتظم ويمارسون أعمالهم في أماكن مكشوفة وعشوائية، فإن "الأطفال في الشارع" (الطفل العامل) يمارسون أعمالا ومهنا في مقرات مستقرة وثابتة كالورشات والمقاهي ومطاعم الأكل السريع ويرتبطون بها بشكل منتظم لفترات معتبرة، حتى ولو كان نوع عملهم يتغير من حين إلى آخر(عسوس، ٢٠٠٩، ص١٠٨).

وفي بعض الأحيان يتم استغلال أطفال الشوارع من قبل "قادة عصابات الشوارع" وهم أطفال الشارع الذين قضوا سنوات طويلة في الشارع وانخرطوا في مجتمع الانحراف والجريمة مما جعلهم محترفي شارع يستطيعون السيطرة على الأطفال الصغار والضغط عليهم للعمل لصالحهم في أعمال غير مشروعة مثل نقل وتوزيع المخدرات والممارسات الجنسية الشاذة مقابل حمايتهم في الشارع (الدليل الإرشادي لحماية أطفال الشوارع من المخدرات، ٢٠٠٧، ص٢٧).

***الأماكن التي يلجأون إليها للنوم:** أما بالنسبة للنوم فعادة ما يلجأ هؤلاء الأطفال إلى الحدائق العامة أو مواقف النقل العام والسكك الحديدية، داخل المساجد أو بجوارها في المنازل والمباني المهجورة أو على أرصفة الشوارع في المناطق السكنية (فهبي، ٢٠٠١، ص١٤٧).

وقد كشفت دراسات عديدة أن أطفال الشوارع غالبا ما يعانون شعورا دائما بالخوف وانعدام الأمن والحرمان، حيث يعتبر الاغتصاب من أوائل التجارب التي تمر بها

الفتيات في الشارع، فتلجأ البنات إلى حلق شعورهن وارتداء ملابس وسخة لتفادي جلب الأنظار، هكذا وقد يتعرض أطفال الشوارع بشكل عام للاضطهاد والتفرقة الاجتماعية فيشعرون بالتميش والاحتقار وعدم اهتمام المجتمع بهم وهذا ما يخلق عندهم الإحساس بالدونية والاهانة فيتحولون مع مرور الوقت إلى أشخاص سلبيين(عسوس ٢٠٠٩، ص ١١٦).

٨- فلسفة تأهيل وإعادة إدماج أطفال الشوارع:

إن الخروج من الشارع مرهون بمسيرة الطفل فكما تم توضيحه سابقا فإن الأطفال لا يصبحون بين عشية وضحاها من أطفال الشوارع، ولكن العملية تحدث على خطوات ومراحل مختلفة تنتهي بانضمامهم إلى حياة الشارع، وحتى ينفصلوا أو يتركوا هذا المسلك من الحياة في الشارع لا بد من إجراءات طويلة وتدخلات مدروسة تحترم حقوقهم وآرائهم، وبالتالي فإن إقحام الطفل -كشخص- في إيجاد حلول تصب في مصلحته هو أمر ضروري، بخلاف تلك التوجهات الكلاسيكية -الشائعة للأسف- التي تصر على اقتلاع الأطفال من الشارع بأسرع وسيلة تحت أي ظرف والتي أثبت الميدان فشلها؛ حيث تؤدي مثل هذه الأساليب الضاغطة المفاجئة التي لا تحترم إشراك الطفل في اتخاذ القرار إلى ارتداد ورجوع هؤلاء الأطفال مرة أخرى إلى حياة الشارع.

فمن وجهة نظر عملية فإن خروج الطفل من الشارع لا يتطلب قطع الطفل كل العلاقات مع عالم الشارع إذ لدينا العديد من الأمثلة عن أطفال غادروا الشارع ليدخلوا مجال نشاط جديد (من مدرسة أو جيش أو عمل على سبيل المثال) ولكنهم استمروا لفترة ما على تواصل مع رفاقهم القدامى. إنما وفي المقابل، فلكي يتسنى لنا التحدث عن مغادرة الشارع فلا بُد أن يكون نسق سيرة الطفل الذاتية المهيمن قد تغير، إذ يبدأ الطفل في مغادرة الشارع عندما تصبح الصورة الذاتية المرغوبة أو الصورة الذاتية المثالية غير متوافقة مع طريقة الحياة في الشارع وغالبًا ما تنشأ هذه الصورة من مرجع إيجابي، فهذا المرجع قد يكون شخصا يود الطفل كسب احترامه وهو الذي لا يعيش في الشارع ولا يروقه أن يرى الطفل يعيش هناك (Lucchini,2001,p.81).

وبالتالي الخروج من مسلك الحياة في الشارع نادرا ما يأتي كموقف مفاجئ، بل إنه عملية مركبة تحتاج إلى سلسلة من عمليات التقييم والتكيف المستمرة، ويبدو أن هناك تفاعلا بين العديد من المتغيرات التي تحدت وتؤثر على قرار الخروج من مسلك حياة الشارع مثل طبيعة الروابط والعلاقات مع الأسرة الأصلية والقدرات والمهارات المساعدة على البقاء بالشارع ودرجة التكيف مع مجموعات الشارع.. بالإضافة إلى العديد من المتغيرات الأخرى، بناء عليه الخروج والانفصال عن مسلك حياة الشارع يتطلب تحولا و"إعادة صياغة للهوية" وهذا صعب حدوثه إلا من خلال "إعادة التنشئة"، ومن الواضح أن مثل هذا التحول في الهوية يمكن حدوثه بدعم من آخرين مهمين في حياة الطفل؛ فالأطفال الذين يفكرون في الانفصال عن حياة الشارع يسعون إلى الحصول على هذا الدعم من الذين يستطيعون مساندةهم ويستطيع العاملون الميدانيون من خلال تنمية العلاقات المبنية على الثقة والاحترام المستمرة توفير الدعم اللازم لاتخاذ مثل هذا القرار (سباك، ٢٠٠٥، ص ٦١).

وفي هذا الصدد تؤكد اتفاقية حقوق الطفل في المادة (٣٩) على أنه "على الدول الأطراف أن تتخذ كل التدابير المناسبة لتشجيع التأهيل البدني والنفسي وإعادة الاندماج الاجتماعي للطفل الذي يقع ضحية أي شكل من أشكال الإهمال أو الاستغلال أو الإساءة أو التعذيب أو أي شكل آخر من أشكال المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة أو المنازعات المسلحة، ويجري هذا التأهيل وإعادة الاندماج في بيئة تعزز صحة الطفل واحترامه لذاته وكرامته" (اتفاقية حقوق الطفل، ١٩٨٩).

خاتمة:

يستند موضوع الدراسة الحالية إلى اعتبار أن الأطفال الذين يلجأون للشارع كفضاء بديل عن الأسرة بعض أو كل الوقت هم أطفال في خطر، ضحايا لظروف أسرية اجتماعية، اقتصادية، سياسية مضطربة انعكست سلبا على اشباعهم لحاجاتهم وحرمتهم من حقوقهم الأساسية؛ لتدفع بهم نحو فضاء شاسع ومهم المعالم بحثا عن تعويض؛ هذا الفضاء بكل ما يحمله من مغريات (الاستقلالية، التحرر من السلطة الكسب، الحرية المطلقة...) تجذب الطفل إليه يخلف كذلك على المدى الطويل عواقب خطيرة على النماء الصحي والشخصي والأخلاقي لهؤلاء الأطفال؛ فرغم أن الشارع قد

يتيح لهؤلاء الأطفال فرص لتعويض الحاجات المفتقدة بالأسرة والمدرسة إلا أنه يعرضهم لأشكال أخرى من الاستغلال والانتهاكات.

وما ينبغي التنبيه إليه هنا هو أن الطفل لا يقطع صلته بأسرته فجأة ليجد نفسه في أحضان فضاء شاسع ومبهم "الشارع" بل أثبتت الدراسات الميدانية أن هناك مؤشرات ومراحل تسبق ذلك لكن قلما تم التركيز عليها، كما أن صلات هؤلاء الأطفال بالشارع متباينة فمنهم من يعمل طوال النهار به ليعود ليلا لمنزله، ومنهم من قطع صلته نهائيا بأسرته واتخذة كفضاء بديل، ومنهم من لا يزال يتأرجح بين الإقامة به والبقاء مع أسرته.

ويعد التكفل بهذه الشريحة من الأطفال ضرورة إنسانية ومجتمعية تحتمها النظرة الإنسانية نحوهم كما تفرضها مصلحة المجتمع ذاته، ولا يمكن القول أن عملية التكفل بأطفال الشوارع والعودة بهم لمسار الحياة الطبيعية عملية بسيطة إلا أنها ممكنة إذا ما توافرت الظروف المناسبة وبذلت الجهود المتناسقة كل في مجاله فالعمل لا يقتصر على اختصاص بعينه ولا جهة قائمة بذاتها بل يشمل جميع الأطراف المعنيين انطلاقا من الأسرة، المدرسة، الأخصائي النفسي، المساعد الاجتماعي، الشرطة، مراكز الاستقبال والحماية، المجتمع المدني... الخ.

📌 قائمة المراجع :

١. بريغت عسوس، أنيسة (٢٠٠٩). واقع أطفال الشوارع. مجلة إضافات. (٧)، ١٠٦-

١٢٢

٢. بن صويلح، ليليا (٢٠١٣). أطفال الشوارع: رؤية إيجابية تأهيلية بنزعة شمولية تشاركية للتعامل مع الظاهرة. مجلة دراسات وأبحاث. ٥ (١٠)، ١٠٧-١٣١.

٣. بن عيسى، الهواري (٢٠١٤). الصراع الأسري وعلاقته بتشرد الأبناء، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية: جامعة وهران. الجزائر.

٤. الحطري، حكيمة (٢٠١٧). دور هيئات المجتمع المدني في معالجة ظاهرة أطفال

الشوارع. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية - إيسيسكو.

٥. ريزو، جوزيف. ف: زابل، روبرت. ه (١٩٩٩). تربية الأطفال والمراهقين المضطربين سلوكياً: النظرية والتطبيق (ترجمة عبد العزيز السيد الشخص وزيدان أحمد السرطاوي). الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي. (العمل الأصلي نشر في عام ١٩٩٣).
٦. صابر، حنان أحمد (٢٠١١). أطفال الشوارع بين الرعاية والتهميش في ظل العولمة. القاهرة: عالم الكتب.
٧. عتروت، وردة (٢٠٠٣). التنشئة الاجتماعية للأطفال غير المتمدرسين في الشارع. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة الجزائر.
٨. العكايلة، محمد سند (٢٠٠٦). اضطرابات الوسط الأسري وعلاقتها بجنوح الأحداث. بيروت: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
٩. غزلاني، وردة (٢٠١١). دور الأمم المتحدة في محاربة ظاهرة أطفال الشوارع: الاتفاقيات والميكانيزمات. مجلة دفاتر السياسة والقانون. (٥)، ٤٦-٥٦.
١٠. فرغلي، رضوى (٢٠١٢). أطفال الشوارع - الجنس والعدوانية - (دراسة نفسية). القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
١١. فهي، محمد سيد (٢٠٠١). أطفال الشوارع - الأسباب والدوافع - (رؤية واقعية). مجلة الطفولة والتنمية العدد الأول، ١٣٩-١٥٢.
١٢. كركوش، فتيحة (٢٠١١). هروب الأبناء من البيت العائلي والبحث عن الهوية. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ٣ (٥)، ١٥٣-١٦٨.
١٣. كفاقي، علاء الدين (٢٠١٥). علم النفس الأسري (ط٢). عمان: دار الفكر.
١٤. المجلس القومي للطفولة والأمومة، بالتعاون مع الأمم المتحدة (٢٠٠٧). الدليل الإرشادي لحماية أطفال الشوارع من المخدرات: الأسباب وفرص العلاج. القاهرة.
١٥. مزوز، بركو (٢٠١٣). القيم عند أطفال الشوارع من خلال لغة الخطاب. مجلة التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية ١٩ (٤)، ٨١-١٠٥.
١٦. مصباح، عامر (٢٠٠٣). التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر.

١٧. مكتب مستشارو الإدارة والتحليل والتخطيط الاجتماعي "سباك" (٢٠٠٥). أطفال خارج إطار الحماية: دراسة تعمقية عن أطفال الشارع في القاهرة الكبرى. تم الاسترجاع من <https://www.pdf-books.org>

١٨. مؤسسة البحوث والاستشارات (٢٠١٥). تقرير عن الأطفال المتواجدون والعاملون في الشوارع في لبنان: خصائص وحجم. تم الاسترجاع من <http://www.ilo.org/>

١٩. ميزاب، ناصر (٢٠٠٥). مدخل إلى سيكولوجية الجنوح - محددات، تناولات نظرية، استراتيجيات، وقاية وعلاج. - القاهرة: عالم الكتب.

٢٠. ميزاب، ناصر (٢٠١٢). آلية التكفل المؤسسي بالطفل المعرض لخطر معنوي (مشروع مجرم): التجربة الجزائرية نموذجاً. بحث مقدم في المناظرة المتوسطة الثانية حول الطفولة: الأطفال خارج منظومة التعليم، تحديات ورهانات الدمج بتطوان. المغرب: ٢٦-٢٧-٢٨ أبريل ٢٠١٢.

٢١. وعلي، راضية (٢٠١٥). الوسط الأسري وعلاقته بانحراف الطفل. مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية. ٣(٦). ٢٢٨-٢٣٦.

22. El yaagoubi, Naouale (2009). La problématique des enfants de la rue au Maroc. **Mémoire présenté à l'Université du Québec à Chicoutimi comme exigence partielle de la maîtrise études et interventions régionales.**

Université du Québec.

23 . Lucchini, R (2001). Carrière, identité et sortie de la rue : le cas de l'enfant de la rue. **Déviance et société.** 25(1), 75-97.